الأممية الشيوعية

أطروحات في القضيتين القومية والاستعمارية

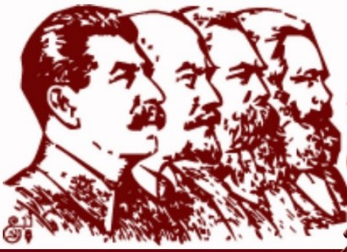

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

أطروحات في القضيتين القومية والاستعمارية

أقرها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني

ترجمة

محمد علي العربي

دار النشر البلشفي العربي

القيروان، كانون الثاني/جانفي 2020

المصدر المعتمد في هذه الترجمة

Le Deuxième Congrès Mondial de l'IC, in *Les Sept Congrès Mondiaux de l'IC*.

المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني

كلمة لينين دفاعا عن أطروحاته أمام المؤتمر.....6
أطروحات في القضيتين القومية والاستعمارية.....12
أطروحات إضافية في القضيتين القومية والاستعمارية.....18

كلمة لينين دفاعا عن أطروحاته أمام المؤتمر

أيها الرفاق،

سأكتفي بتدخل مقتضب في هذه المادة، ليقدم فيما بعد الرفيق مارينغ أمين لجنتنا، تقريرا مفصلا حول التحويرات التي أجريناها على الأطروحات. وسيأخذ الرفيق روي الذي صاغ الأطروحات الإضافية الكلمة. لقد أقرت لجنتنا بالإجماع الأطروحات الأولية بما وقع فيها من تحويرات وما أضيف إليها من أطروحات. فاستطعنا بذلك بلوغ إجماعا تاما في كل المسائل الهامة. وسأقوم الآن بإبداء بعض الملاحظات المقتضبة.

في المقام الأول، ما هي الفكرة الجوهرية والأساسية في أطروحاتنا؟ أنها التمييز بين الأمم المضطهَدة والأمم المضطهِدة. فخلافا للأممية الثانية الديمقراطية البرجوازية أبرزنا هذا التمييز. فمما له أهمية خاصة عند البروليتاريا والأممية الشيوعية في مرحلة الإمبريالية هو فهم الوقائع الاقتصادية الملموسة والانطلاق منها وليس من المقولات المجردة عند حل جميع القضايا الاستعمارية والقومية. إن الخاصية المميزة في الإمبريالية هي أن العالم أجمع منقسم حاليا كما نراه إلى عدد كبير من الأمم المضطهَدة وعدد ضئيل من الأمم المضطهِدة تمتلك ثروات هائلة وقوة عسكرية عتيدة. فإذا ما قدرنا مجمل سكان المعمورة على أنه يبلغ مليارا وثلاثة أرباع المليار فإن الأغلبية الساحقة تضم أكثر من المليار، وفي كل احتمال، مليارا ومائتين وخمسين مليون إنسان؛ أي أن سبعون بالمائة من سكان الأرض ينتمون إلى الأمم المضطهَدة التي ترزح تحت نظام التبعية الاستعماري المباشر أو التي تمثل دولا شبه مستعمَرة مثل الفرس وتركيا والصين أو هزمها جيش قوة إمبريالية عظمى فأصبحت في حال تبعية لها بفعل اتفاقيات سلم. إن فكرة انقسام الأمم إلى مضطهَدة ومضطهِدة والتمييز بينهما قائمة في جميع الأطروحات، سواء تلك التي ظهرت بإمضائي ونشرت فيما بعد أو تلك التي قدمها الرفيق روي؛ فهذه الأخيرة، صيغت أساسا انطلاقا من الوضع في الهند وشعوبا عظيمة أخرى

مستعبَدة في آسيا تضطهِدها بريطانيا العظمى. وفي ذلك تكمن أهمية تلك الأطروحات عندنا.

ثاني الأفكار الموجهة لأطروحاتنا هي أن علاقات الشعوب بعضها ببعض وكامل النظام السياسي العالمي، في الوضع العالمي الراهن، إثر الحرب الإمبريالية، يحددهما صراع عدد من الأمم الإمبريالية ضد الحركة السوفييتية والدول السوفييتية التي على رأسها روسيا السوفييتات. فإذا غاب عن نظرنا ذلك لن نستطيع بسط أي قضية قومية أو استعمارية بصحة حتى لو تعلق الأمر بأكثر بقاع العالم تأخرا. ولا يمكن للأحزاب الشيوعية، سواء تلك التي في البلدان المتمدنة أو التي في البلدان المتأخرة، أن تتناول القضايا السياسية وتحلها بطريقة صحيحة، إلا إذا انطلقت مما ذكرنا.

في المقام الثالث، أريد أن أُلفت الانتباه إلى قضية الحركة الديمقراطية البرجوازية في البلدان المتأخرة. فقد أثارت هذه القضية، على وجه التحديد، بعض الخلافات. لقد نظرنا في ما إذا كان صحيحا، مبدئيا ونظريا، أن نعلن أن على الأممية الشيوعية والأحزاب الشيوعية أن تدافع عن الحركة الديمقراطية البرجوازية في البلدان المتأخرة. ولقد انتهى بنا ذلك إلى قرار إجماعي نغير بمقتضاه عبارة حركة «ديمقراطية برجوازية» بعبارة حركة وطنية ثورية.

لا يوجد أدنى شك في أن كل حركة وطنية لا يمكنها أن تكون إلا ديمقراطية برجوازية، لأن الجماهير العظيمة من سكان البلدان المتأخرة تتكون من فلاحين وهم يمثلون العلاقات البرجوازية والرأسمالية. وسيكون من باب الوهم أن نعتقد أن الأحزاب البروليتارية، إذا ما سلمنا بإمكانية ظهورها عموما في هذه البلدان، يمكنها أن تتبع تكتيكا وسياسة شيوعيين في هذه البلدان المتأخرة، دون أن تكون لها علاقات محددة مع الحركة الفلاحية ودون أن تدافع عنها بالفعل.

لقد قُدمت اعتراضات؛ فإذا ما تحدثنا عن حركة ديمقراطية برجوازية، غاب كل تمييز بين حركة إصلاحية وأخرى ثورية. إذ ظهر في هذه الأوقات، ذلك التمييز بوضوح تام في البلدان المتأخرة، لأن البرجوازية الإمبريالية تسعى إلى غرس الحركة الإصلاحية في الشعوب المضطهَدة أيضا بكل الوسائل. وقام ضرب من التقارب بين برجوازية البلد المستغِل وبرجوازية

البلد المستعمَر. وصورة ذلك أنه كثيرا، وربما في أغلب الحالات، ما تكون برجوازية البلد المضطهَد، وفي الوقت الذي تدافع فيه عن الحركة الوطنية، هي متفقة مع البرجوازية الإمبريالية. إن ذلك يعني أنها تحارب الحركات الثورية والطبقات الثورية. وهي تقوم بذلك إلى جانب البرجوازية الإمبريالية. لقد بُرهن على ذلك في اللجنة على نحو لا يمكن رفضه. ولقد قدرنا أن الموقف الصحيح الوحيد هو أن نأخذ بعين الاعتبار ذلك التمييز وأن نعوض عبارة «ديمقراطية برجوازية» بأخرى هي «وطنية ثورية» في كل المواضع تقريبا.

إن مغزى هذا التغيير هو أننا كشيوعيين لا يجب علينا أن ندافع عن حركات التحرر البرجوازية في البلدان المستعمَرة إلا في الحالة التي تكون فيها تلك الحركات ثورية حقا ولا يعارض ممثلوها ما نقوم به من تربية وتنظيم بروح ثورية في صفوف الفلاحين والجماهير الواسعة من المستغَلين. فإذا لم تتحقق هذه الشروط، وجب على الشيوعيين في تلك البلدان أن يناضلوا ضد البرجوازية الإصلاحية التي ينتمي إليها أيضا أبطال الأممية الثانية. فقد وُجدت بعدُ في البلدان المستعمَرة، أحزاب إصلاحية ويُنعت ممثلوها، أحيانا، باشتراكيين ديمقراطيين أو اشتراكيين. إن التمييز الذي ذكرناه يظهر الآن، في جميع الأطروحات. وأعتقد أن وجهة نظرنا أصبحت على هذا النحو أكثر دقة.

ثم أريد أن أقدم ملاحظة حول موضوع المجالس الفلاحية. إن نشاط الشيوعيين الروس العملي في المستعمرات التي كانت تابعة لروسيا القيصرية، أي في بلدان متأخرة مثل تركستان وغيرها، أدى إلى القضية التالية: كيف يمكن تطبيق التكتيك والسياسة الشيوعيين في الظروف السابقة عن الرأسمالية بما أن الخاصية المميزة والجوهرية في تلك البلدان هي أن العلاقات السابقة عن الرأسمالية لا تزال تهيمن فيها، وبالتالي لا يمكن أن يتعلق الأمر بحركة عمالية خالصة؛ ففي تلك البلدان لا توجد طبقة عمالية صناعية تقريبا؟ ورغم ذلك، وهنا أيضا، قُمنا ويجب أن نقوم بدور القائد. ولقد بين لنا عملنا أنه يجب تجاوز صعوبات هائلة في تلك البلدان. لكن النتائج العملية بينت أيضا أن رغم تلك الصعوبات من الممكن إيقاظ تطلع الجماهير إلى تفكير ونشاط سياسيين مستقلين حتى حيث لا توجد طبقة

عمالية تقريبا. لقد كان هذا العمل أكثر صعوبة مما كان عليه بالنسبة للرفاق في بلدان أوروبا الغربية. فقد كانت البروليتاريا الروسية مثقلة بمشاغل الدولة. ويمكننا أن نفهم دون صعوبة أن الفلاحين الذين هم في وضع تبعية شبه إقطاعية يمكنهم تقبل فكرة التنظيم السوفييتي وتحقيقها في الواقع. إن الجماهير المضطهَدة التي تستغلها الرأسمالية والإقطاعيون والدولة الإقطاعية في ذات الوقت، تستطيع استعمال هذا السلاح، هذا الشكل من التنظيم، حتى في وضع مثل وضعهم. إن فكرة التنظيم السوفييتي بسيطة. ويمكن تطبيقها لا في إطار العلاقات البروليتارية فحسب، بل أيضا في إطار العلاقة الفلاحية ذات الطابع الإقطاعي أو شبه الإقطاعي. لا تزال تجربتنا غير كبيرة في هذا المجال لكن نقاشات اللجنة التي شارك فيها كثير من ممثلي البلدان المستعمَرة، برهنت بشكل لا يمكن رفضه على أن من اللازم أن نشير في أطروحات الأممية الشيوعية إلى أن مجالس الفلاحين، مجالس المستغَلين، أداة صالحة لا في البلدان الرأسمالية فحسب، بل أيضا هي كذلك في البلدان التي تهيمن فيها العلاقات السابقة عن الرأسمالية، وأن واجب الأحزاب الشيوعية المطلق وكذلك العناصر المؤهلة لأن تؤلف أحزابا شيوعية هو أن تقوم بدعاية لصالح مجالس الفلاحين، مجالس الشغيلة، دوما وفي كل مكان، في البلدان المتأخرة وفي البلدان المستعمَرة. ويجب عليهم محاولة خلق مجالس الشعب الشغيل فورا أينما تسمح الظروف بذلك. إننا نجد في ذلك بداية مجال بالغ الفائدة والأهمية من النشاط العلمي. ولا تزال تجربتنا المشتركة في ذلك غير كبيرة إلى الآن. لكننا سنجمع شيئا فشيئا، معطيات مطرِدة التعاظم. ومما لا شك فيه هو أن باستطاعة عمال البلدان المتقدمة أن يساعدوا الجماهير الكادحة المتأخرة. ويجب عليهم ذلك. ويمكن للبلدان المتأخرة أن تخرج من مستوى تطورها الحالي عندما يمد لها العمال المنتصرون في الجمهوريات السوفييتية يد المساعدة وعندما تصبح مؤهلة لمدها بسندها.

لقد قامت نقاشات حيوية في هذه القضية أثارتها الأطروحات التي كانت بإمضائي. وكان الأمر على أكثر من ذلك بالنسبة لأطروحات الرفيق روي الذي سوف يدافع عنها بعد أن أجريت عليها تحويرات وأُقرت بالإجماع.

تُبسط القضية هكذا: هل نكون على صواب عندما نؤكد أن مرحلة الاقتصاد الرأسمالي لا مفر منها بالنسبة للشعوب المتأخرة التي هي حاليا في طريق التمرد والتي لاحظنا في بعض منها تحركا نحو التقدم منذ الحرب؟ ولقد أجبنا على ذلك سلبا. فإذا قامت البروليتاريا المظفرة بدعاية منتظمة فيها وساعدتها الجمهوريات السوفييتية بكل ما أوتيت من وسائل، فإننا نكون على ضلال إذا ما اعتقدنا أن لا مفر من مرحلة التطور الرأسمالي بالنسبة للشعوب المتأخرة. إذ يجب علينا في جميع المستعمرات والبلدان المتأخرة، لا أن نكون كوادر نضالية مستقلة ومنظمات حزبية وأن نتابع فيها منذ الآن دعاية لصالح تنظيم مجالس الفلاحين متمسكين بملاءمتها للظروف السابقة عن الرأسمالية فيها فحسب، بل يجب أيضا على الأممية الشيوعية أن تصوغ هذا المبدأ وأن تعلله في المجال النظري، هذا المبدأ الذي مفاده أن البلدان المتأخرة تستطيع بلوغ النظام السوفييتي والشيوعية بعد أن تمر ببعض المراحل التطورية، متجنبة المرحلة الرأسمالية، ويكون ذلك بمساعدة البروليتاريا في البلدان المتقدمة.

يستحيل أن نشير مسبقا، إلى الوسائل الضرورية لذلك الغرض. لكن ما ثبت بوضوح هو أن فكرة المجالس سهلة الوصول إلى كل الجماهير الكادحة في تلك الشعوب. ويجب أن تلاءم المجالس ظروف النظام الاجتماعي السابقة عن الرأسمالية ويجب أن يتوجه عمل الحزب الشيوعي فورا في هذا الاتجاه في العالم أجمع.

أريد أيضا أن أشير إلى ما لعمل الأحزاب الشيوعية الثوري من أهمية لا في بلدانها فحسب، بل أيضا في البلدان المستعمَرة وخاصة بين الجيوش التي تعتمدها الأمم المستغِلة للحفاظ على سيادتها على شعوب تلك البلدان. لقد تحدث الرفيق كالش من الحزب الاشتراكي البريطاني عن ذلك في لجنتنا. وأعلن أن العامل البسيط الإنجليزي يعتبر أن من الخيانة أن نساند الشعوب المستعبَدة على النهوض ضد الهيمنة الإنجليزية. صحيح أن التعصب القومي عند الأرستقراطية البروليتارية في بريطانيا العظمى وأمريكا، يمثل أكبر خطر على الاشتراكية. فتلك الأرستقراطية البروليتارية هي الدرع الأكثر قوة عند الأممية الثانية. إذ يتعلق الأمر هنا بأكبر خيانة من جانب القادة العماليين المنتمين إلى هذه الأممية البرجوازية.

ولقد ناقشت الأممية الثانية هي الأخرى القضية الاستعمارية وتحدث عنها أيضا بيان بال بعبارات جيدة الوضوح. وكانت أحزاب الأممية الثانية قد وعدت بأن تتحرك بصورة ثورية. ولكن ما رأيناه هو أن هذه الأممية، وأفترض أن أغلبية أحزابها قد غادرتها قصد الانضمام إلى الأممية الثالثة، لم تقم بعمل ثوري فعلا ولم تقدم مساعدة للشعوب المستغَلة والتابعة خلال نهوضها ضد الأمم التي تضطهِدها. لا مفر من أن نعلن ذلك عاليا ولنرى إن كانوا سيحاولون تكذيبه.

تلك هي الاعتبارات التي وضعناها أساسا لتقاريرنا التي بدت جد مطولة بشكل ملحوظ. وأرجو رغم ذلك أن تكون ذات فائدة وأن تساهم في تطوير وتنظيم عمل ثوري فعلا في القضيتين القومية والاستعمارية. ويمثل ذلك مهمتنا الجوهرية على وجه التحديد.

أطروحات في القضيتين القومية والاستعمارية

فقرة 1 إن طرح قضية المساواة بوجه عام، بما في ذلك المساواة بين الأمم طرحا مجردا وشكليا، أمر ينسجم تماما وطبيعة الديمقراطية البرجوازية. فتحت غطاء المساواة العامة بين الأشخاص تنادي البرجوازية بمساواة شكلية وقانونية بين المالك والعامل، بين المستغِل والمستغَل لتدفع بالطبقات المضطهَدة في ضلال خطير. وتصبح فكرة المساواة التي ليست سوى انعكاس للعلاقات التجارية، سلاحا في يد البرجوازية تعتمده في نضالها ضد إزالة الطبقات باسم المساواة المطلقة بين البشر. أما المعنى الحقيقي لمطلب المساواة فليس إلا مطلب إزالة الطبقات.

فقرة 2 يجب على الحزب الشيوعي (وهو المعبر الواعي عن البروليتاريا المناضلة في سبيل إسقاط نير البرجوازية) وفق هدفه الجوهري (وهو النضال ضد الديمقراطية البرجوازية وكذبها ونفاقها)، في القضية القومية أيضا، أن يضع في المقام الأول لا مبادئ مجردة شكلية، بل، أولا، تقديرا صحيحا للوضع التاريخي الملموس وفي مقدمة ذلك الوضع الاقتصادي؛ وثانيا، تمييزا شديد الوضوح لمصالح الطبقات المضطهَدة، الشغيلة المستغَلة، عن فكرة المصالح الشعبية العامة التي هي تعبير عن مصالح الطبقة المهيمنة؛ وثالثا، تمييزا بنفس تلك الدرجة من الوضوح بين الأمم المضطهَدة والتابعة والتي لا تتمتع بالمساواة في الحقوق من جهة والأمم المضطهِدة التي تستغِل وتتمتع بكامل حقوقها من جهة ثانية. إن ذلك سيكون تضادا لكذب الديمقراطية البرجوازية الذي يخفي واقع أن أقلية من البلدان الرأسمالية المتقدمة وعالية الثراء، تستعبد عسكريا وماليا (ذلك من أخص خصائص مرحلة رأس المال المالي والإمبريالية) الأغلبية الساحقة من سكان الأرض.

فقرة 3 لقد كشفت حرب 1914-1918 الإمبريالية، أمام جميع الأمم والطبقات المضطهَدة في العالم، بصورة لا تقبل الجدل، تضليل العبارات الطنانة الديمقراطية البرجوازية. وبينت عمليا

أن اتفاقية فرساي التي أملتها «الديمقراطيات الغربية» الشهيرة، ليست إلا عنفا أكثر قذارة ووقاحة ضد الأمم الضعيفة سلطه عليها الألمان والقيصر بمقتضى اتفاقية برست-ليتوفسك. ولا تفعل سياسة عُصبة الأمم وكامل سياسة الحلفاء إثر الحرب، سوى كشف تلك الحقيقة بصورة أكثر وضوحا ودقة. فتدفع نضال البروليتاريا الثوري في البلدان المتقدمة والجماهير الكادحة في البلدان المستعمَرة والتابعة على حد سواء، وتعجل إفلاس الأوهام الوطنية البرجوازية الصغيرة في إمكانية تعايش سلمي بين الأمم وتساويها في النظام الرأسمالي.

فقرة 4 ينتج مما سبق أن حجر الزاوية في سياسة الأممية الشيوعية في القضيتين القومية والاستعمارية، يجب أن يكون التقارب بين العمال والجماهير الشغيلة في كل الأمم والبلدان في سبيل نضال ثوري مشترك للإطاحة بالمالكين العقاريين والبرجوازية. فلا يضمن الانتصار على الرأسمالية غير ذلك التقارب وتستحيل بدونه إزالة الاضطهاد القومي واللامساواة في الحقوق.

فقرة 5 يضع الوضع السياسي العالمي الراهن الدكتاتورية البروليتارية على جدول الأعمال. فجميع الأحداث السياسية العالمية تلتقي، بشكل لا مفر منه، في نفس النقطة المركزية وهي صراع البرجوازية العالمية ضد جمهورية السوفييتات في روسيا، التي تجمع حولها الحركات السوفييتية للعمال المتقدمين في جميع البلدان من جهة وكل حركات التحرر الوطني في المستعمرات والقوميات المضطهَدة التي أقنعتها تجربة مريرة أن لا خلاص لها بمعزل عن انتصار سلطة السوفييتات على الإمبريالية العالمية، من جهة أخرى.

فقرة 6 إذن، لم يعد من الممكن أن نقتصر على الاعتراف بتقارب شغيلة مختلف الأمم والمناداة بذلك، بل أصبح من الضروري أن نتبع سياسية ترمي إلى تحقيق أوثق اتحاد لحركات التحرر القومي والوطني مع روسيا السوفييتات وتحديد أشكالٍ لذلك الاتحاد توافق مستوى تطور الحركة الشيوعية للطبقة العاملة في كل بلد أو حركة العمال والفلاحين التحررية الديمقراطية البرجوازية في البلدان والقوميات المتأخرة.

فقرة 7 الفيدرالية هي شكل الانتقال إلى الاتحاد التام لشغيلة مختلف البلدان. فقد أظهرت الفيدرالية جدواها سواء في علاقات الجمهورية السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية مع

الجمهوريات السوفييتية الأخرى (المجر، فنلندا، ليتونيا في ما مضى وأذربيدجان وأوكرانيا حاليا)، أو داخل الجمهورية السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية نفسها مع ما في داخلها من قوميات لم تكن تملك وجودا خاصا بها كدول أو حكما ذاتيا (مثال ذلك جمهوريتا البشكير والتتار ذاتي الحكم الذاتي داخل الجمهورية السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروسية واللتان أنشئتا على التوالي في سنتي 1919 و1920) .

فقرة 8 تكمن مهمة الأممية الشيوعية من هذه الزاوية في تطوير ودراسة والتحقق وعلى ضوء التجربة من هذه الفيدراليات الجديدة القائمة على حركة السوفييتات ونظامها. وإذ نعتبر الفيدرالية شكل الانتقال إلى الاتحاد التام، فإنه من الواجب علينا أن نتجه صوب اتحاد فيدرالي وثيق أكثر فأكثر آخذين بعين الاعتبار دوما أن: أولا. يستحيل أن نحافظ على وجود الجمهوريات السوفييتية المطوقة بقوى الإمبريالية من كل صوب بتفوقها العسكري، دون أوثق اتحاد بين تلك الجمهوريات السوفييتية؛ ثانيا. من الضروري أن نحقق أوثق اتحاد اقتصادي بين الجمهوريات السوفييتية الذي بدونه يستحيل علينا أن نعيد بناء قوى الإنتاج التي دمرتها الإمبريالية وأن نؤمن عيشا طيبا للشغيلة؛ ثالثا. أن نحاول تحقيق اقتصاد عالمي واحد كوحدة يوجهه عمال جميع الأمم وفق تخطيط إجمالي. كانت هذه النزعة قد ظهرت بوضوح في النظام الرأسمالي ومن الممكن أن تتطور في النظام الاشتراكي وتنتصر بصورة أكيدة.

فقرة 9 لا يمكن لسياسة الأممية الشيوعية، في مجال العلاقات داخل الدولة، أن تقتصر على اعتراف بسيط أو شكلي أو رسمي، لا يؤدي إلى شيء، بالمساواة بين الأمم مثلما هو الحال عند الديمقراطيين البرجوازيين سواء اعترفوا صراحة أنهم كذلك أو استتروا بالاشتراكية مثلما يقوم بذلك من هم في الأممية الثانية. لا يجب أن يقتصر الأمر على أن تكون كامل دعاية الأحزاب الشيوعية وتحريضها -داخل البرلمانات وخارجها- فاضحة للخرق المستمر لمبدأ مساواة الأمم وخرق ضمان حقوق الأقليات القومية في جميع الدول الرأسمالية رغم دساتيرها «الديمقراطية»، بل يجب أيضا أولا، أن تستمر البرهنة على أن نظام السوفييتات هو الوحيد القادر على ضمان فعلي للمساواة بين الأمم بتحقيقه، في المقام الأول، وحدة كل العمال ثم

وحدة الجماهير الشغيلة في النضال ضد البرجوازية. وثانيا يجب على كل الأحزاب أن تساعد مباشرة الحركات الثورية في الأمم التابعة أو التي لا تتمتع بمساواة في الحقوق (مثال ذلك، أيرلندا، سود أمريكا...) أو المستعمرات. بدون هذا الشرط ذي الأهمية الخاصة، سيكون النضال ضد اضطهاد الأمم التابعة والمستعمرات، بما ذلك حقها في الانفصال، دعاية مضللة مثلما هو الحال في أحزاب الأممية الثانية.

فقرة 10 الاعتراف بالمبدأ الأممي قولا وتعويضه عمليا بالنزعة القومية والسلمية في كامل الدعاية التحريض، ذلك لا نجده بصورة ثابتة عند أحزاب الأممية الثانية فحسب، بل أيضا عند أحزاب خرجت منها، وأحيانا عند أحزاب تُسمى حاليا شيوعية. إن النضال ضد هذا المرض، ضد الأفكار المسبقة القومية البرجوازية الصغيرة الأكثر رسوخا، يكتسي أهمية تتعاظم بقدر ما تتعاظم أهمية قضية تحويل الدكتاتورية البروليتارية القومية (التي توجد في بلد واحد وعاجزة عن توجيه السياسة العالمية) إلى دكتاتورية عمالية أممية (التي تقوم في بعض البلدان المتقدمة على الأقل وقادرة على التأثير في كامل السياسة العالمية تأثيرا حاسما). إن النزعة القومية البرجوازية الصغيرة تختزل المبدأ الأممي في اعتراف بتساوي الأمم (دون أن تتحدث عن الطابع اللفظي المحض لذلك الاعتراف) ولا تمس الأنانية القومية. بينما يفرض المبدأ الأممي العمالي أولا، أن تخضع مصالح النضال العمالي في أحد البلدان لمصالح ذلك النضال على النطاق العالمي. وثانيا، أن تكون الأمم التي شرعت في الانتصار على البرجوازية قادرة ومستعدة لتقديم أكبر التضحيات على النطاق العالمي في سبيل قلب رأس المال العالمي. لذا، في البلدان ذات الرأسمالية التامة والتي توجد فيها أحزاب عمالية تمثل فعلا طليعة البروليتاريا، يكون النضال ضد الانحرافات الانتهازية، البرجوازية الصغيرة والسلمية في مفهومي الأممية والسياسة الأممية أعظم المهمات.

فقرة 11 أما بالنسبة للبلدان والأمم المتأخرة، حيث تسود علاقات ذات طابع إقطاعي أو فلاحي، فيجب بصورة خاصة، أن نأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

أولا. ضرورة أن تساعد كل الأحزاب الشيوعية حركة التحرر الديمقراطي البرجوازي في تلك البلدان، وفي مقدمة ذلك، واجب أن يقدم عمال البلد المستعمِر العون الأكثر نشاطا للأمم التي ترزح تحت سيطرة استعمارية ومالية لبلادهم؛

ثانيا. ضرورة النضال ضد المبشرين المسيحيين وما شابههم من العناصر الرجعية المتخلفة التي لها تأثير في البلدان المتأخرة؛

ثالثا. ضرورة النضال ضد نزعة التوحيد الإسلامي وما شابهها من التيارات التي تحاول توجيه حركة التحرر ضد الإمبريالية الأوروبية والأمريكية مع تقوية مواقع الأتراك والمالكين العقاريين ورجال الدين؛

رابعا. ضرورة الدفاع بوجه خاص عن الحركة الفلاحية في البلدان المتأخرة ضد أثرياء الفلاحين وكبار المالكين العقاريين وكل بقايا الإقطاع وضرورة التمسك بإعطاء الحركة الفلاحية الطابع الأكثر ثورية بتحقيق أوثق اتحاد ممكن بين البروليتاريا الشيوعية في أوروبا الغربية وحركة الفلاحين الثورية في بلدان الشرق والمستعمرات والبلدان المتأخرة عموما. إن من الضروري القيام بذلك المجهود لتطبيق المبادئ الجوهرية لنظام السوفييتات في البلدان التي تسود فيها العلاقات السابقة عن الرأسمالية بإنشاء «سوفييتات الشغيلة»؛

خامسا. ضرورة النضال الحازم ضد نزعة التلون بالشيوعية لدى تيارات التحرر الديمقراطي البرجوازي في البلدان المتأخرة ولا يجب على الأممية الشيوعية أن تساند الحركات الوطنية الديمقراطية البرجوازية في المستعمرات والبلدان المتأخرة إلا شرط أن تكون العناصر، التي ستؤلف الحزب العمالي المقبل، (ينبغي أن يكون شيوعيا لا بالاسم فقط)، في تلك البلدان، قد تجمعت وتربت بروح مهماتها الخاصة، مهمات النضال ضد الحركات الديمقراطية البرجوازية في أممها. كما يجب على الأممية الشيوعية أن تعقد تحالفا مؤقتا مع الديمقراطيات البرجوازية في البلدان المستعمَرة والمتأخرة لكن دون أن تندمج معها. ويجب أن تحافظ بصلابة على استقلالية الحركة البروليتارية حتى لو كانت في صورة جنين؛

سادسا. ضرورة أن نكشف ونبين للجماهير الكادحة الواسعة في كل البلدان وخاصة في البلدان المتأخرة حقيقة التضليل المنتظم الذي تمارسه القوى الإمبريالية باسم إنشاء دول مستقلة سياسيا، إنما تنشئ في الواقع دولا تابعة لها بصورة مطلقة في المجالات الاقتصادية والمالية والعسكرية. والمثال الصارخ على ما يحاك من خدع لتضليل جماهير الكادحين في الأمم المضطهَدة، ينتجه تآلف جهود إمبريالية الحلفاء وبرجوازية الأمة المعنية، هو المشروع الصهيوني في فلسطين، فجميع الصهاينة يعملون على اخضاع السكان الكادحين في فلسطين العربية لاستغلال إنجلترا تحت ستار خلق دولة يهودية في بلد لا يمثل العمال اليهود فيه إلا أقلية. في الوضع العالمي الراهن لا خلاص للأمم التابعة والضعيفة باستثناء اتحاد الجمهوريات السوفييتية.

فقرة 12 لم يخلف اضطهاد القوى الإمبريالية للشعوب المستعمَرة والضعيفة طوال قرون لدى جماهير هذه البلدان الحقد فحسب، بل خلف أيضا انعدام ثقة الأمم المضطهَدة عموما بما في ذلك عمالها. ولا يمكن للخيانة المخزية للاشتراكية من جانب أغلب القادة الرسميين لأولئك العمال في سنوات 1914-1918، عندما ستر أولئك القادة الاشتراكيون القوميون دفاعهم عن «حق» برجوازيتـ«هم» في اضطهاد المستعمرات ونهب البلدان التابعة ماليا، باسم «الدفاع عن الوطن»، لا يمكن لتلك الخيانة إلا أن تشدد من خطورة عدم الثقة تلك. إنه شعور قانوني تماما. ثم إنه على قدر تأخر البلد تكون كذلك حالة الإنتاج الفلاحي الصغير ونمط الحياة الأبوية وانعدام التفكير. إن ذلك يؤمن للأفكار المسبقة البرجوازية الصغيرة الأكثر رسوخا مقاومة هائلة القوة، من ذلك الأنانية القومية وضيق الأفق القومي. وبما أن هذه الأفكار المسبقة لا يمكن أن تضمحل إلا بعد اضمحلال الإمبريالية والرأسمالية في البلدان المتقدمة وبعد التغيير الجذري لكامل القاعدة الاقتصادية في البلدان المتأخرة فإن انطفائها سيكون جد بطيئا. فوجب على البروليتاريا الشيوعية الواعية في كل البلدان أن تبدي حذرا وانتباها خاصين تجاه بقايا الشعور القومي عند الشعوب والبلدان المضطهَدة منذ زمن طويل. كما وجب عليها أن تقوم ببعض التنازلات قصد تعجيل اضمحلال انعدام الثقة والأفكار المسبقة التي ذكرناها. فبدون مجهود حر قصد اتحاد البروليتاريا وتحقيق وحدتها، ثم توحيد كل الجماهير الكادحة في جميع بلدان العالم، لا يمكن أن يتم الانتصار على الرأسمالية.

أطروحات إضافية
في القضيتين القومية والاستعمارية

فقرة 1 إن إحدى أهم القضايا التي توضع أمام المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني هي تحديد علاقة الأممية الشيوعية بالحركة الثورية في البلدان التي تضطهِدها الإمبريالية الرأسمالية، كالصين والهند، تحديدا أكثر دقة. لقد بلغ تاريخ الثورة العالمية مرحلة أصبح فيها فهم تلك العلاقة فهما صحيحا أمرا ضروريا. لقد بينت الحرب الأوروبية الكبرى ونتائجها بوضوح أن تمركز الرأسمالية العالمية قد أدى إلى ارتباط الجماهير الشعبية في البلدان الخاضعة غير الأوروبية بالحركة البروليتارية في أوروبا ارتباطا قويا؛ ومثال ذلك إرسال فرق عسكرية وجيوش عظيمة من المستعمرات إلى الجبهة أثناء الحرب، الخ.

فقرة 2 إن أحد المصادر الرئيسية التي تستمد الرأسمالية الأوروبية منه قوتها الرئيسية يكمن في الاستيلاء على المستعمرات وإخضاعها. بدون السيطرة على الأسواق الواسعة ومجالات الاستثمار الشاسعة في المستعمرات لن تستطيع قوى الرأسمالية الأوروبية أن تحافظ على وجودها حتى لو كان ذلك لزمن قصير جدا. تعاني إنجلترا، وهي حصن الإمبريالية، من فائض الإنتاج منذ أكثر من قرن. فلو لا استيلاؤها على المستعمرات لتصريف بضائعها ولاستغلالها كمصدر للمواد الأولية لصناعاتها التي لا تفتأ تتقدم لانهار كامل النظام الرأسمالي في بريطانيا تحت ثقل أعبائه منذ زمن بعيد. لقد نجحت الإمبريالية الإنجليزية في الحفاظ على البروليتاريا تحت الهيمنة البرجوازية باستعباد مئات الملايين من سكان آسيا وإفريقيا.

فقرة 3 إن فائض الربح المستخلص من استغلال المستعمرات هو الدعامة الرئيسية للرأسمالية المعاصرة. وطالما أنها لم تُجرد من ذاك المصدر لفائض الربح لن يكون من اليسير على البروليتاريا الأوروبية أن تطيح بالنظام الرأسمالي. فبفضل إمكانية استغلال العمل البشري

والموارد الطبيعية في المستعمرات استغلالا واسعا وشديدا تسعى جاهدة، وليس دون نجاح، للخروج من إفلاسها الحالي. وبفضل استغلال الجماهير في المستعمرات تستطيع الإمبريالية الأوروبية أن تقدم للأرستقراطية البروليتارية الأوروبية التنازل تلو الآخر. ففي الوقت الذي تسعى فيه الإمبريالية الأوروبية إلى تدني مستوى عيش البروليتاريا بنزوعها إلى المنافسة ببضائع بخسة الثمن مصنوعة في البلدان الخاضعة، لا تتردد ذات الإمبريالية الأوروبية في أن تضحي بكامل فائض الربح المستخلص من بلدانها الخاصة شرط أن يكون في مستطاعها مواصلة استخلاص فائض ربح كبير من استغلال المستعمرات.

فقرة 4 إن تحطيم الإمبراطورية الاستعمارية إلى جانب الثورة البروليتارية في البلدان الاحتكارية سيطيحان معا بالنظام الرأسمالي في أوروبا. لذا، يجب على الأممية الشيوعية أن توسع نطاق عملها. يجب عليها أن تقيم علاقات مع الحركات الثورية في البلدان الخاضعة التي تعمل على تحطيم الإمبريالية. إن عمل هاتين القوتين عملا مجمع عليه إنما هو ضروري لانتصار الثورة العالمية انتصارا نهائيا.

فقرة 5 الأممية الشيوعية هي إجماع إرادة البروليتاريا الثورية العالمية. ومهمتها تنظيم البروليتاريا في العالم أجمع للإطاحة بالنظام الرأسمالي وإقامة الشيوعية. والأممية الثالثة هي أداة النضال الذي يضع على عاتقه مهمة تجميع القوى الثورية في جميع بلدان العالم. أما الأممية الثانية التي تقودها مجموعة من السياسيين ومشبعة بالأفكار البرجوازية فلم تفهم كامل أهمية القضية الاستعمارية. ففي نظرها لا وجود للعالم خارج أوروبا، ولم تر ضرورة التنسيق بين الحركة الثورية في أوروبا والحركة الثورية في البلدان غير الأوروبية، وعوض أن يقدم أعضاءُ الأممية الثانية عونا ماديا ومعنويا للحركة الثورية في المستعمرات أصبحوا هم أنفسهم إمبرياليين.

فقرة 6 لقد فرضت الإمبريالية الأجنبية نفسها على الشعوب الشرقية بالقوة فمنعتها من أن تتطور اجتماعيا واقتصاديا إلى جانب إخوتها في أوروبا وأمريكا. وبسبب السياسة الإمبريالية، التي ترمي إلى عرقلة تطور المستعمرات الصناعي، كانت الطبقة عمالية بالمعنى الأصلي للكلمة حديثة العهد في هذه البلدان. والصناعة الحرفية عالية التطور قد دُمرت لتترك المجال لمنتوجات الصناعة الممركزة في البلدان الإمبريالية، مما جعل الأغلبية الساحقة من السكان تجبر على العمل

الفلاحي لإنتاج الحبوب والمواد الأولية قصد التصدير. كما نتج عن تلك السياسة الإمبريالية تمركز سريع للملكية الزراعية بين أيدي كبار المالكين العقاريين أو الرأسماليين الماليين أو الدولة؛ فنشأ، على هذا النحو، جمهور غفير من الفلاحين دون أرض. وبقيت أغلبية السكان في أمية. ومن نتائج تلك السياسة الإمبريالية أن روح التمرد التي توجد في شكل مكتوم عند كل شعب خاضع لا تظهر إلا عند الطبقة الوسطى المثقفة قليلة العدد. تعرقل الهيمنةُ الأجنبيةُ تطورَ القوى الاجتماعية تطورا حرا. لذا، فإن تحطيمها هو أول خطوة نحو الثورة في المستعمرات. وهكذا، فإن تقديم العون قصد الإطاحة بالهيمنة الأجنبية في المستعمرات لا يعني أننا ننخرط في مطمح البرجوازية المحلية القومي؛ فليس في ذلك سوى أن نفتح الطريق للبروليتاريا المضطهَدة.

فقرة 7 يمكننا أن نلاحظ في البلدان التابعة وجود حركتين تبتعدان عن بعضهما باستمرار وبقدر متزايد. الأولى هي الحركة الوطنية الديمقراطية البرجوازية ولها برنامج استقلال سياسي في إطار نظام برجوازي؛ والثانية هي حركة جماهير الفلاحين والعمال الفقراء وغير المبالين وهم يناضلون في سبيل تحررهم من كل استغلال. وتحاول الأولى السيطرة على الثانية. وغالبا ما نجحت في ذلك بقدر معين. لكن على الأممية الشيوعية والأحزاب المعنية أن تحارب تلك السيطرة وأن تسهل تطور الوعي الطبقي عند الجماهير الكادحة في المستعمرات. لأجل الإطاحة بالرأسمالية الأجنبية، وذلك أول خطوة نحو الثورة في المستعمرات، فإن التعاون مع العناصر الوطنية الثورية البرجوازية مفيد. لكن أهم مهمة وأكثرها ضرورة هي تأليف الأحزاب الشيوعية التي ستنظم العمال والفلاحين للسير بهم في طريق الثورة وتركيز الجمهوريات السوفييتية. وعلى هذا النحو ستبلغ جماهيرُ البلدان المتأخرة الشيوعية لا عبر تطور رأسمالي بل عبر قيادة البروليتاريا الواعية في البلدان الرأسمالية المتقدمة.

فقرة 8 لا تنحصر القوة الحقيقية لحركات التحرر في المستعمرات في إطار حلقة الوطنيين الديمقراطيين البرجوازيين الضيقة. ففي معظم المستعمرات وجدت بعدُ أحزاب ثورية منظمة تبذل الجهد للحفاظ على صلة متينة بالجماهير الكادحة (يجب على الأممية الشيوعية أن تقيم صلة بالحركة الثورية في المستعمرات من خلال فروعها أو مجموعاتها لأنها طليعة البروليتاريا في بلدانها). تلك الأحزاب الثورية ليست كثيرة في الوقت الحاضر، لكنها تعكس طموحات الجماهير

التي ستسير وراءها في طريق الثورة. يجب على الأحزاب الشيوعية في مختلف البلدان الإمبريالية أن تعمل تنسيق مع الأحزاب الشيوعية في المستعمرات وأن تقدم، من خلال تلك الأحزاب، المساعدة المعنوية والمادية الممكنة للحركة الثورية بوجه عام.

فقرة 9 لن تكون الثورة في المستعمرات في أولى مراحلها ثورةً شيوعيةً. لكن إذا ما كانت قيادتها بين أيدي طليعة شيوعية منذ البداية فلن تضل الجماهير بل سيكون بإمكانها التقدم عبر مراحل متتابعة من التطور التجربة الثورية. وبالفعل سيكون من الخطأ الفادح أن يراد حل القضية الزراعية في عدد من البلدان الشرقية بإتباع مبادئ شيوعية خالصة. فعلى الثورة في المستعمرات، خلال مراحلها الأولى، أن تسير وفق برنامج يتضمن عددا لا بأس به من الإصلاحات البرجوازية الصغيرة من قبيل توزيع الأرض، الخ. لكن لا يجب أن يستتبع ذلك التخلي عن القيادة للديمقراطيين البرجوازيين. بل العكس، يجب على الأحزاب البروليتارية أن تطور دعاية حيوية لصالح فكرة السوفييتات، وأن تنظم مجالس العمال والفلاحين عند أول إمكانية. وستعمل تلك السوفييتات بتنسيق مع الجمهوريات السوفييتية في البلدان الرأسمالية المتقدمة قصد الإطاحة النهائية بالنظام الرأسمالي في العالم أجمع.

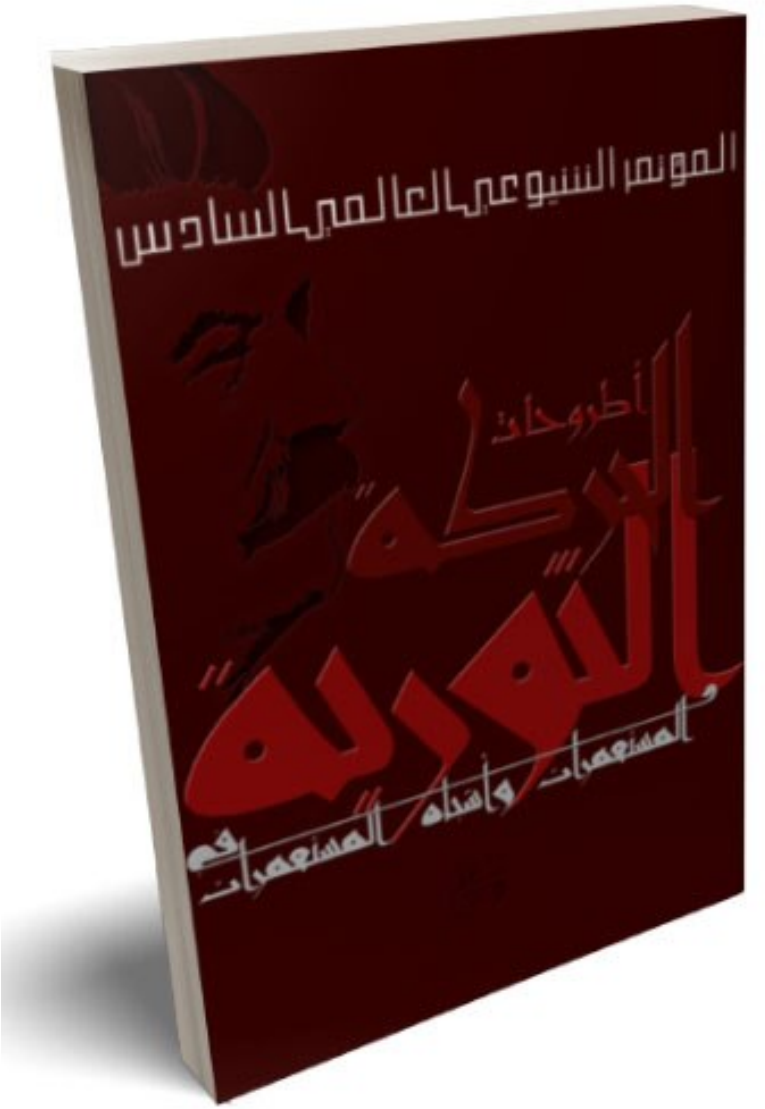
المؤتمر الشيوعي العالمي السادس
أطروحات
الثورة
المستعمرات وأعداء المستعمرات في